جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التأريخ

السياسة الداخلية في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر

بحث تقدمت به الطالبة
آيات قاسم جبر
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التأريخ / جامعة بابل / كجزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في التاريخ

بإشراف
أ.د. علي هادي عباس الهداوي

1444هـ

2023م

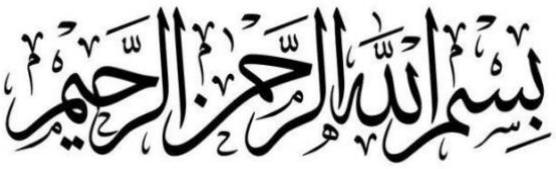

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)

(القرآن الكريم، سورة الحديد ، آية ٢٧)

الإهداء

أهدي هذا البحث
إلى كل طالب علم يسعى لكسب المعرفة وتزويد
رصيده المعرفي العلمي والثقافي

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها .....إلى
من سهرت الليالي تنير دربي .

إلى من تشاركني أفراحي و آساتي ..... إلى نبع
العطف و الحنان

إلى أجمل إبتسامة في حياتي ..... إلى
أروع إمرأة في الوجود أمي الغالية .

إلى من علمني أن الدنيا كفاح..... ألى الذي لم
يبخل علي بأي شيء.

إلى من سعى لأجل راحتي و نجاحي ....إلى
أعظم وأعز رجل في الكون : أبي العزيز .

اهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

أشكر اللّه تعالى على ما أعطانى فقد هيأ لى كل الشروط وجعلها سهلة لى. لإنجاز هذا العمل بفضل نعمته العظيمة وكرمه العام. الحمد له أولاً وأخيراً على كل شىء ، وللّه الحمد ،ثم اتقدم بوافر شكرى وتقديرى إلى أساتذة جامعة بابل واخص بالذكر منهم أ.د. على هادى عباس المهداوى لما كان له من فضل عليه باتمام البحث الحالى داعيا المولى عز وعلا ان يتمم علينا بالصحة والموفقية.

الفهرس

الآية القرآنية .....أ

الإهداء.....ب

الشكر والتقدير.....ت

المقدمة.....١-٥

المبحث الأول (حياة لويس الرابع عشر ، إهتمام الملك بالفنون والعلوم والعمارة ، نساء الملك).....٦-١٣

١-حياة الملك لويس الرابع عشر ٦-١٠

٢- نساء الملك 11

٣- إهتمام الملك بالفنون والعلوم والعمارة..... 12-١٣

المبحث الثاني (تسلم لويس الرابع عشر السلطة الفعلية في فرنسا).....١٤-١٦

المبحث الثالث (السياسة الداخلية في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر).....١٧-٢٤

١-عهد لويس الرابع عشر في ظل إدارة مازاران(١٦٤٣_١٦٦١).....١٧-١٨

٢-أوج عظمة الملكية الفرنسية في عهد لويس الرابع عشر(١٦٦١_١٦٨٤).....19

٣-دور الضعف والانحلال(١٦٨٤_١٧١٥).....20

٤- السياسة الدينية 21-٢٢

٥-سياسة لويس الرابع عشر الاقتصادية..... 23

٦-بناء الاسطول والجيش في عهد لويس الرابع عشر.....24

نتائج البحث ٢٥-٢٦

قائمة المصادر والمراجع.....27-٢٨

المقدمة

أهمية البحث :

كانت أوتوقراطية لويس الرابع عشر التي تعكس حمية الشعور القومي الصاعد في فرنسا الحقيقة المسيطرة على تأريخ أوروبا منذ أن انفرد الملك بالسلطان عام ١٦٦١ حتى موته ١٧١٥.

كان لويس اول ملك فرنسي جعل من الملكية مهنة جديدة. فقرر منذ الوهلة الأولى ألا يدع وزيرا او صاحب حظوة يوجه شؤون الدولة العليا فقد كانت الملكية في إعتباره مهنة بلغت من السمو والنبل والمتعة بحيث لا يمكن أن يقاسمه فيها أحد؛ فهي وضيفة إلهية، ائتمنته العناية الإلهية نائباً لها، استحق بما اختص به أن يكون جديراً بالرسالة الشريفة.

وكانت ملكية لويس الرابع عشر باتساعها وأبهّها وقوتها المنظمة شيئاً جديداً على أوروبا وحينما اصبح لويس ملكاً بدأت مرحلة جديدة في تاريخ فرنسا الحديث ظهرت آثارها واضحه تماماً في التأريخ الأوروبي السياسي طوال نصف قرن من الزمن . وقد عُرفت هذه الفترة من تأريخ فرنسا بعصر لويس الرابع عشر : عصر الملكية المطلقة والتفوق الفرنسي.

حكم لويس الرابع عشر بقوة وحزم كما لم يفعل أي من ملوك فرنسا الذين سبقوه أو الذين جاؤوا بعده، بل كما لم يفعل أي عظيم من عظماء عصره لقد صار في طريقة حكمه وأسلوب ملكه وسياسة رعيته صاحب مدرسة في اصول الحكم .والواقع أن شخصيته واسلوبه في الحكم قد طبعا عصره بطابع مميز مستمد من سناء ملكه حتى صارت الفترة الممتدة من سنة ١٦٦١وحتى سنة وفاته ١٧١٥تعرف بإسم «عصر لويس الرابع عشر» . وكثيراً ما تجاوز المؤرخون ذلك فإعتبروا القرن السابع عشر كله « قرن لويس الرابع عشر» .

سبب إختيار موضوع البحث :

يعود سبب إختيار موضوع البحث (السياسية الداخلية في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر) رغبة شخصية مني لمعرفة شخصية الملك لويس الرابع عشر إذ وجدته مثير للاهتمام ولمعرفة ما الذي جعل فترة حكمه مميزة وماهي الإجراءات التي قام بها عندما تسلم السلطة في فرنسا حيث الهمني كتاب قصة الحضارة للكاتب والمؤرخ الأمريكي ويليام جيمس ديورانت للكتابة في الموضوع .

إشتمل البحث (السياسة الداخلية في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر)

على ثلاث مباحث:

تناولت في المبحث الأول حياة الملك لويس الرابع عشر واهتماماته وزوجاته

لويس الرابع عشر اشهر ملوك فرنسا (١٦٤٣_١٧١٥)والمعروف أيضًا باسم ملك الشمس ، كان ملك فرنسا من عام 1643 حتى وفاته في عام 1715. وهو من آلبوربون ، وكان ابن الملك الفرنسي لويس الثالث عشر وأمه الملكة آن من النمسا.

لويس الرابع عشر لم يكن فرنسياً إلا بربع دمه فقد كان نصف إسباني من ناحية أمه آن النمساوية وربع إيطالي من ناحية جدته ماري مديتشي . وقد اولع بالفن والحب الإيطاليين دون تردد وبعد ذلك بالتدين والكبرياء الإسبانيين .سمي عند ولادته (٥سبتمبر١٦٣٨) ديودونيه اي «عطية الله»

عملت والدته آن النمساوية كوصية للعرش وقررت أن يكون جول مزاران وزيرها حتى عام ١٦٦١ وعندما تولى لويس الرابع عشر مقاليد الأمور بنفسه في فرنسا عزم على أن ينفرد بالسلطان ولا يترك المجال لوزير أو صاحب حظوة لتوجيه شؤون الدولة مستقلا عن الملك ولم يكن لويس الرابع عشر يمتاز بقدرة خارقة في الحرب والسياسة ولكنه كان قوي الشكيمة ، جم النشاط ،حريصاً على حفظ مكانة الملك وإضفاء الهيبة والابهة على العرش وقد حكم فرنسا نحو أربع وخمسين سنة .

أثبت أنه ملك قادر وقوي وقاد بلاده في ثلاث حروب رئيسية: حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة الإسبانية (١٦٦٧_١٦٦٨) , الحرب الهولندية (١٦٧٢_١٦٧٨) و حرب الوراثة الإسباينة (١٧٠٢ _١٧١٣). اهتم بالفنون والعلوم حيث أسس أكاديمية التصوير والعمارة ١٦٧١.أما بخصوص زواجه فقد اقتضى العرف أن يضحي بميوله الشخصية ويتزوج زواج سياسي حيث تزوج الأميرة الإسبانية ماريا تيريزا ابنة فيليب الرابع ولكنة حضي بزواج سعيد في نهاية حياته بزواجه من مربية أطفاله مدام دو مانتينون. تزوجها بعد موت الملكة تيريزا عام ١٦٨٣ و كان في السابعة والأربعين وهي في الخمسين وكان ارتباطاً غير متكافئ لكنه كان خير رباط وأسعده للملك.

اما المبحث الثاني تناولت فيه تسلم لويس الرابع عشر للسلطة الفعلية في فرنسا (١٦٦١_١٧١٥)

بدأت بالحديث عن أسس نظام الحكم المطلق التي وضعت في عهد لويس الثالث عشر في النصف الأول من القرن السابع عشر والتي هي امتداداً لمجهودات هنري الرابع حيث كانت هنالك صعوبات واجهت هذه العملية نهاية عهد لويس الثالث عشر وبداية عهد لويس الرابع عشر أثناء وزارة مازاران (١٦٤٣_١٦٦١) الذي عينته الملكة آن النمساوية رئيساً لمجلس الحكومة وقد حاول مازاران إصلاح الاضطرابات لكن الخراب ساد فرنسا في عصره .

تولى لويس الرابع عشر في ٩ مارس ١٦٦١ شؤون الحكم في فرنسا بنفسه فبعد موت مازاران قرر أن ينفرد بالسلطة ولا يترك المجال لوزير أو غيره من رجال الدولة لتوجيه شؤون الدولة مستقلاً عن الملك واصبح واحداً من أعظم ملوك فرنسا وهو الذي رفع فرنسا إلى المرتبة الاولى بين الأمم وكان لويس يحكم عن طريق وزراء يعينهم ويفصلهم كما يشاء وقد استفاد لويس الرابع عشر من دروس من سبقه وخاصة الوزيران ريشيليو ومازاران. بدأت مرحلة جديدة في تاريخ فرنسا الحديث ظهرت آثارها واضحه تماماً في التأريخ الأوروبي السياسي طوال نصف قرن من الزمن .

والمبحث الثالث من هذه الدراسة تناولت فيه السياسية الداخلية في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر (١٦٤٣_١٧١٥)

حيث إنقسم عهد لويس الرابع عشر الى ثلاثة أدوار هي :

أدارة مازاران من سنة١٦٤٣_١٦٦١ ودور عظمة المملكة من سنة ١٦٦١_١٦٨٤ .وعصر الانحلال في فرنسا من سنة ١٦٨٤_١٧١٥ .

إذا واجه مازاران ثورات عرفت بأسم «ثورة الفروند » فقد ثار الشعب الفرنسي الذي أرهق من شدة الضرائب والإجراءات المالية الصارمة .

وحينما تولى لويس الرابع عشر كان يؤمن إيماناً قوياً بنظرية حق الملوك المقدس.هذه النظرية التي عمت بلاد أوروبا لفترة طويلة. وكان لويس يقول بأن الملك يمثل الإله في الارض. وقام لويس الرابع عشر بعدة إصلاحات داخلية مثل تأليف المجالس والهيئات المساعدة له ولقد اختار الملك رجالاً أكفاء ليعاونوه في الحكم.

لقد سارت سياسة لويس الرابع عشر سيراً أدى بالبلاد إلى الضعف والهلاك فقد اعتمد على وزير حربيته لافوا الذي دفع بالبلاد إلى مجموعة من الحروب الخارجية أنهكت البلاد وافرغت ميزانيتها كما أن الملك كان قد وقع تحت تأثير صديقته المتدينة (مدام دو مانتينون) التي تزوجها الملك بعد وفاة زوجته ماريا تيريزا ولقد كانت منتون كاثوليكية متعصبة وعن طريقها وعن طريقها زاد نفوذ رجال الدين الكاثوليك في الدولة ومما زين الطين بلةً أن الملك كان يسير على سياسة يريد بها بسط سيطرة الملكية سيطرة كاملة ومطلقة على جميع الشؤون المدنيه والدينية في فرنسا.

وتناولت في هذا المبحث أيضاً السياسة الدينية للملك لويس الرابع عشر

إذ قرر لويس الرابع عشر انتزاع السلطة الدينية من البابا في فرنسا بحيث يصبح صاحب السلطة المطلقة في شؤون فرنسا الدينية والمدنية. و آمن لويس الرابع عشر بأن وحدة فرنسا السياسية لا يمكن أن تتحقق بدون قيام الوحدة الدينية .ولذلك كان يأمل في عودة البروتستانت إلى الكنيسة الكاثوليكية إذ استخدم ضدهم العنف و ابعدهم عن مناصب الدولة العليا وأذعن الملك تدريجياً لضغوط الكاثوليك مخالفاً بذلك فطرته التي تميل إلى الخير فأن لويس الرابع عشر كان دائماً في حاجة للمال للإنفاق على البلاط والحروب ، وقد وجد « رجال الدين يقدمون له منح كبيرة شريطة أن يقبل آرائهم». و هذا سبب من الأسباب التي دفعته للاضطهاد الديني ضد البروتستانت. وهكذا أمام إلحاح الدين الكاثوليك تتابعت حملات الاضطهاد ضد البروتستانت والمذاهب الدينية الأخرى في فرنسا .

وتناولت سياسة لويس الرابع عشر الاقتصادية

إذ اعتمد لويس الرابع عشر في الشؤون المالية على خبير إقتصادي وهو كولبير والذي عمل على إنعاش مالية البلاد بشتى الوسائل حيث اهتم بالتجارة والصناعة ؛ ففي مجال التجارة عمل كولبير على تكوين إمبراطورية بحرية فرنسية على غرار ما قامت به هولندا وأسبانيا والبرتغال ،وفيما يتعلق بمجال الصناعة فقد توسع كولبير في إنشاء المصانع لتشجيع الصناعة المحلية وحمايتها من المنافسة الخارجية.

وتناولت بناء الجيش والاسطول في عهد لويس الرابع عشر

إذ عهد لويس الرابع عشر ببناء الجيش الفرنسي الحديث إلى لوتلييه وأبنه ، وقد أدخل لوتلييه الأساليب الحديثة في إنشاء الجيش الفرنسي الحديث ، أما الأسطول فقد تم بناؤه على أيدي كولبير وعاونه ابنه ، وقد جرى انشاء الاسطول الفرنسي نتيجة للسياسية التي اتبعها كولبير في العناية بالتجارة الخارجية لفرنسا ..

أبرز المصادر المستخدمة:

(١)ول ديورانت، قصة الحضارة ،عصر لويس الرابع عشر ، ج٣١ ،ترجمة فؤاد أندراوس وعلي ادهم ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨ .

(٢)عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٣ .

(٣)ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث ١٤٥٣_١٨٤٨، ط١ ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي، ١٩٩٦،ص١٩٥ .

(٤)جلال يحيى ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، ج١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، ١٩٨٣.

(٥)عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، ط١، دار الفكر العربي،مصر ،١٩٩٧.

(٦)موسوعة تأريخ القرن السابع عشر في أوربة ، نور الدين حاطوم ، ط١، دار الفكر ،دمشق ، سوريا، ١٩٨٦.

المبحث الاول

حياة لويس الرابع عشر

لويس الرابع عشر (١٦٤٣_١٧١٥) اشهر ملوك فرنسا لم يكن فرنسياً إلا بربع دمه فقد كان نصف إسباني من ناحية أمه آن النمساوية وربع إيطالي من ناحية جدته ماري مديتشي . وقد اولع بالفن والحب الإيطاليين دون تردد وبعد ذلك بالتدين والكبرياء الإسبانيين .سمي عند ولادته (٥سبتمبر١٦٣٨) ديودونيه اي «عطية الله » ولعل الفرنسيين لم يستطيعوا أن يصدقوا إن لويس الثالث عشر قد حقق أبوته فعلا دون عون من الله وقد اضر بنمو الصبي وتطوره ما كان بين أبويه من تنافر ، وموت أبيه الباكر ، واضطرابات الفروند الطويلة الأمد وكثيراً ما لقى الإهمال وسط نضال آن ومازاران المرة بعد المرة للإحتفاظ بالسلطة ويبدو إن أحدا لم يهتم بتعليمه وحين تولاه المدرسون الخصوصيون كان همهم الأكبر أن يقنعوه بأن فرنسا بأسرها ميراثه الذي سيحكمه بالحق الإلهي ، ولا يسأل عنه إلا أمام الله . ووجدت أمه الوقت لتدريبه على العقيدة والعبادة الكاثوليكيتين.(١)

كان لويس الرابع عشر يؤمن إيماناً قوياً بنظرية حق الملوك المقدس.هذه النظرية التي عمت بلاد أوروبا لفترة طويلة. وكان لويس يقول بأن الملك يمثل الإله في الارض وله سلطة مقدسة مستمدة من الله . ولا يجوز تجزيء هذه السلطة أو التنازل عنها للغير ، لأنها حق للملك وأن الله يسأله عنها . (٢)

ولم يجرؤ أحد على مساءلة لويس أو إنتقاد أفعاله ومن هنا كانت عبارته الشهيرة : الدولة : إني أنا الدولة (٣)

---

(١)ول ديورانت، قصة الحضارة ،عصر لويس الرابع عشر ، ج٣١ ،ترجمة فؤاد أندراوس وعلي ادهم ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨،ص٢١ ، ٢٥.

(٢)عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٣ ، ص١٨٢.

(٣) ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث ١٤٥٣_١٨٤٨، ط١ ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي، ١٩٩٦،ص١٩٥

كان أول عمل سياسي للملكة الوصية الى برلمان باريس أن يفسخ وصية الملك الراحل ويخولها «الإدارة الحرة والمطلقة و الكاملة لشؤون المملكة » وهذا ما جرى في ١٨ آيار ١٦٤٣

وفي الواقع كانت آن ضعيفة الذكاء ودون تربية سياسية ،ومتسلطة وعنيدة ،قررت أن يكون وزيرها الاول الكاردينال مازاران .ولد (جول مازاران) في ١٦٠٢ في إقليم الابروز في ايطاليا من أسرة رومانية ، وإنتقل من خدمة البابا إلى خدمة ملك فرنسا في ١٦٣٩ م،واستطاع أن يلتمس افضال الملكة ، وتعلقت به بعاطفة لا تنكر . وبهذا الواقع كان إلى جانبها آمنا على نفسه حتى في منفاه وأكثر مما كان ريشيليو إلى جانب لويس الثالث عشر.(١)

لقد انتهج مازاران نفس سياسية ريشيليو الداخلية والخارجية وكان يرى أن تكون الملكية الفرنسية ملكية مطلقة ، وذات اعتبار كبير في أوروبا.الا أن شخص مازاران يختلف عن شخص ريشيليو الذي كان يفضل المصلحة العامة ،في حين أن مازاران كان دائما يفضل مصلحته الخاصة ومع هذا فقد وصلت البلاد في فترة حكم وزارته الي مرحلة عظيمة في السياسة الخارجية. لقد دخلت فرنسا حرب الثلاثين عاماً في عهد ريشيليو واستمرت في تدخلها هذا زمن مازاران ،كما واجه مازاران ثورات عرفت بأسم «ثورة الفروند » فقد ثار الشعب الفرنسي الذي أرهق من شدة الضرائب والإجراءات المالية الصارمة ثم حدث خلاف اخر بين مازاران والنبلاء وقادة الجيش . حتى أن القائد الفرنسي تورين قرر التعاون مع إسبانيا ضد فرنسا إلا أنه فشل في مخططه هذا وعاد فيما بعد إلى حظيرة الملكية الفرنسية . وبعد انتهاء فرنسا من حربها مع إسبانيا سنة ١٦٥٢ تمكن مازاران من القضاء على الخلافات الداخلية وبهذا انتهت المرحلة الثانية من مراحل ثورات الفروند ، التي انتهت بفوز الملكية التي استطاعت أن تبعد البرلمان عن التدخل في السياسة. واعادت المأمورين والنبلاء الثائرين الى طاعتها .(٢)

---

(١) موسوعة تأريخ القرن السابع عشر في أوربة، نور الدين حاطوم ،ط١، دار الفكر ،دمشق ، سوريا، ١٩٨٦،ص٢٦٠.

(٢)عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ،مصدر سابق ص١٧٩.

تولى لويس الرابع عشر مقاليد الأمور بنفسه في فرنسا عازماً على أن ينفرد بالسلطان ولا يترك المجال لوزير لو صاحب حظوة لتوجيه شؤون الدولة مستقلا عن الملك ولقد عبر عن سياسته هذه تعبيراً عميقاً عندما كان يردد بفخر واعتزاز« الدولة أنا » ولم يكن لويس الرابع عشر يمتاز بقدرة خارقة في الحرب والسياسة ولكنه كان قوي الشكيمة ، جم النشاط ،حريصاً على حفظ مكانة الملك وإضفاء الهيبة والابهة على العرش وقد حكم فرنسا نحو أربع وخمسين سنة بحزم خارق وكفاءة نادرة لم توجد في غيره من ملوك عصره ، وساعده الحظ بوجود نخبه من الرجال ذوي القدرة الفائقة يعملون في خدمته ،فكان يدير مالية البلاد (كولبير) أعظم اقتصادي في عصره و(تورين) القائد المحنك و(كونديه) أعظم قائد للفرسان وغيرهم ممن اخلصوا في خدمته وخدمة فرنسا ولذلك أحرز من النجاح في الداخل والخارج ما لم ينله ريشيليو ومازاران حتى لقب «بالملك الاعظم » وكان لويس مغرماً بأبهة الملك ومظاهر العظمة. بنى لنفسه مدينة جديدة في ضاحية فرساي القديمة التي تبعد عشرة أميال عن باريس وبنى فيها قصر فرساي الذي كان من اجمل ما شيده ملوك أوروبا فقد كان نموذجاً فنياً جمع فيه كل ما يبهر الأعين ويضم بين جدرانه كل مظاهر التألق وروائع الفن وقد زين بالمرايا والثريات وامتلأ بالأثاث الأنيق الفاخر وكان القصر كعبة القصاد من العلماء والأدباء ورجال السياسة والفكر امثال «راسين » و «موليير» و « ديكارت» و« بسكال » وغيرهم من أعاظم الكتاب والأدباء والفلاسفة في عهده ودعا لويس طبقة الاشراف للسكن في فرساي ليبعدهم عن الحياة العامة في المدينة .(١)

---

(١)عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، ط١، دار الفكر العربي،مصر ،١٩٩٧، ص١٦٣، ١٦٤.

حكم لويس الرابع عشر بقوة وحزم كما لم يفعل أي من ملوك فرنسا الذين سبقوه أو الذين جاؤوا بعده، بل كما لم يفعل أي عظيم من عظماء عصـره لقد صـار في طريقة حكمه وأسـلوب ملكه وسياسة رعيته صاحب مدرسة في اصول الحكم .والواقع أن شخصيته واسلوبه في الحكم قد طبعا عصره بطابع مميز مستمد من سناء ملكه حتى صارت الفترة الممتدة من سنة ١٦٦١وحتى سنة وفاته ١٧١٥تعرف بإسم «عصر لويس الرابع عشر» . وكثيراً ما تجاوز المؤرخون ذلك فإعتبروا القرن السابع عشر كله « قرن لويس الرابع عشر» . (١)

ساعد لويس الرابع عشر في تسيير الأمور الداخلية الوزير كولبير (١٦١٩_١٦٨٣) الذي اهتم برفع المستوى الاقتصادي وإصلاح طريقة جباية الضرائب وتخفيضها على طبقة المزارعين ، وتشـجيع الصـناعات المحلية وفرض الكمرك عليها لحمايتها ، وانشـاء الطرق وحفر القنوات وتأييد بناء السـفن التجارية ومنح أصـحابها ، الاعانات المالية وبناء أسـطول حربي وتأسـيس امبراطورية اسـتعمارية بالاسـتيلاء على عدد جزر من جزر الهند الغربية وحوض نهر المسيسيبي وتأسيس مراكز تجارية في الهند ومدغشقر والسنغال .(٢)

---

(١)عبد المجيد نعنعي ، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣_١٨٤٨،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٨٣، ص١٣٢.

(٢)موسـوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصـر، مفيد الزيدي ، ج١، ط٣ ، دار أسـامة للنشـر والتوزيع ،الأردن ، عمان ، ٢٠٠٩، ص٥٠٢.

أما سياسة لويس الرابع عشر الخارجية فقد أنصبت على مقاومة آل هبسبورغ ، وإستبدال نفوذ أسرة آل بوربون بنفوذها في أوروبا ، ومحاولة الحصول على حدود طبيعية لفرنسا ، وهي جبال الألب والبرانس ونهر الراين والبحر ومن أجل ذلك دخل لويس في عدة حروب ضم فيها أقاليم أوتوا وفلاندرز وهينو وقسم من اللورين ومعظم الالزاس وولاة فرانش كونتي ، وتنصيب حفيده ملكاً على إسبانيا وإذلال أسرة آل هبسبورغ وبذر لويس الخلاف بين ألمانيا وفرنسا في قابل الأيام ، وأنفق أموالا كثيرة على حروبه وبلاطه ، وأثقل كاهل الشعب الفرنسي بالضرائب . (١)

وفيما يلي عرض للحروب التي خاضها لويس الرابع عشر :

حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة الإسبانية (١٦٦٧_١٦٦٨) :

طبقا للسياسة الخارجية التي رسمها لويس فإنه كان يهدف للقضاء على إسبانيا وضم الأراضي المنخفضة إلى فرنسا حيث طالب الملك فيليب الرابع بحقوق زوجته الإسباينة ماريا تيريزا .

الحرب الهولندية (١٦٧٢_١٦٧٨): اعتقد لويس الرابع عشر أن سبب تكوين الحلف الثلاثي هو المستشار الهولندي جون دي ويت حيث تسبب بوقف الزحف الفرنسي في الاراضي المنخفضة لذلك رغب في تأديب هولندا.

حرب الوراثة الإسبانية (١٧٠٢ _١٧١٣) : بدأت بعد وفاة شارل الثاني وتحولت إلى مشكلة دولية من أجل الاستئثار بالممتلكات وقد رأى لويس الرابع عشر أنه احق بهذه الوراثة لأنه متزوج من أميرة إسبانية .(٢)

---

(١) موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، مفيد الزيدي ، ج١، ط٣ ، المصدر السابق نفسه ص٥٠٢..

(٢)عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوربي الحديث ، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٩٩، ص١٨٠،١٧٧،١٧٦.

نساء الملك

اقتضى العرف أن يضحي لويس بميوله الشخصية ليعقد زيجات تجلب منفعة ساسية للدولة ولو كان الأمر بيد لويس لبدأ حياته بزواج حب فقد استهواه جمال «ماري مانشيني » إبنة اخت مازاران فرجا أمه والكاردينال أن يسمحا له بالزواج منها

١٦٥٨ولكن آن النمساوية وبخته لانه سمح للعاطفة بأن تتدخل في شؤون الساسية ثم راح الوزير يستخدم نفوذه ليحصل على عروس للويس وهي« ماريا تيريزا » إبنة الملك الإسباني فيليب الرابع .وهكذا زف لويس إلى ماريا ١٦٦٠وكلاهما في الثانية والعشرين .

أما ماري تيريزا فكانت امرأة متكبرة ،ورعة فاضلة ،وقد أعانت قدوتها ونفوذها على إصلاح اخلاقيات البلاط ، على الأقل بين حاشيتها ولكن النظام الذي نشأت عليه جعلها مكتئبة متبلدة وقد انجبت للملك ستة أطفال .

كان المجتمع والكنيسة _ أحياناً كثيرة _ يغضبان اذا التمس الملك شاعرية الغرام بعيداً عن الرباط الزوجي .وفي ١٦٧٩ اختتم آثامه مع مونتسبان بتعيينها مشرفة على بيت الملكة وكانت تلك إحدى الفظاظات الكثيرة التي جرح بها شعور ماري تيريزا.

وبعد عام تسلمت « دو مانتينون » (التي ظلت سنوات عديدة وهي تتلقى اطفال الملك يخرجون إلى النور وتعلمت أن تحبهم وكانوا يرون فيها أماً لهم ، أما الملك الذي ضحك منها اول الأمر لفرط احتشامها فقد انتهى به الامر الى الاعجاب بها) وضيفة مماثلة هي الوصيفة لمخدع ابنه البكر (الدوفينة) ، وكان الوحيد الباقي على قيد الحياة من أبنائه الشرعيين .وكثر تردد الملك على الدفينة للتحدث الى مانتينون ومامن شك أنه أراد أن يجعل المركيزة خليلة له ، وأنها ردته عن نفسها ، لا بل إنها ناشدته أن يكف عن جنوحه ويعود تائباً إلى الملكة فأذعن لها ولبوسويه.

وفي ١٦٨١وبعد عشرين عاماً من مغازلة النساء أصبح زوجاً مثالياً . أما الملكة التي وطنت نفسها منذ زمن بعيد على تقبل خياناته ، بل على تقبل خليلاته فقد حظيت برضاء الملك ولكن لعامين فقط لأنها ماتت عام ١٦٨٣.

وظن لويس أن مانتينون ستقبل الآن أن تصبح خليلته لكنها قابلته بصد لبق أما الزواج وإلا فلا وفي تاريخ لا يعرف على التحديد ولكنه ١٦٨٤ ،تزوجها وكان في السابعة والأربعين وهي في الخمسين وكان ارتباطاً غير متكافئ لكنه كان خير رباط وأسعده للملك .(١)

---

(١)ديورانت، قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر، مصدر سابق ج٣١ ص ٥٧،٦٧،٦٨.

إهتمام الملك بالفنون والعلوم والعمارة

إهتم لويس الرابع عشر بالعلوم والفنون إذ كان شغوفاً بالتقدم العلمي وبإزدهار الفنون . اهتم بالأكاديمية الفرنسية التي أسسها ريشيليو عام ١٦٣٥ وأصر بأن يصبح كل من «راسين » و« بوالو » من بين اعضائها وقد نجح في ذلك وظل

العمل مستمراً فيه حتى عام ١٦٦٣ عندما انشأ لويس الرابع عشر « الأكاديمية الصغرى للرسوم والميداليات » وكانت عندئذ تتكون من أربعة اعضاء فقط لإنجاز الامور العاجلة ومهما قيل في أهمية هذه الأكاديمية فإن الغرض الرئيسي منها هو للنهوض باللغة الفرنسية .

وفي عام ١٦٦٥ أسست« مجلة العلماء» التي كرست صفحاتها للتأليف العلمي العملي المفيد في تقدم النهضة الصناعية. وفي سنة ١٦٦٦ تأسست اكاديمية العلوم من (من خمسة عشر عضواً) فشجعت التأليف العلمي في العلوم الطبيعية ودعمت علوم العلماء الأجانب في فرنسا .ويتضح اهتمامه الشخصي بالفنون تأسيسه لأكاديمية التصوير والعمارة عام ١٦٧١ ولم يقتصر تشجيعه المادي على الفنانين الفرنسيين بل عداهم إلى الأجانب بصرف النظر عن موضوعات أعمالهم الفنية.(١)

كان لويس الرابع عشر من أكبر رعاة الفن الذين شهدهم التاريخ وتطور فن العمارة في فرنسا وحلت العمارة الملكية محل العمارة الكنسية ، حيث تفوقت الدولة على الكنيسة في الثراء والمكانة .وكان لقصر اللوفر في هذا الصدد ميزة تميز بها على غيره من العمائر .وشهد نمو اللوفر اجيال كثيرة وترك ملوك كثر بصماتهم على تاريخه . ويعد الفناء المربع وواجهة الأعمدة في اللوفر نموذجاً للفن الكلاسيكي الفرنسي .وقد شارك في بناء اللوفر معماريون فرنسيون مثل لوفر و ولوبران وبيرو.(٢)

(١)زينب عصمت راشد ، تاريخ اوروبا الحديث ، من مطلع القرن السادس الى نهاية القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٩٩.
(٢) ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث ١٤٥٣_١٨٤٨، ط١ ، مصدر سابق ص٢١٢.

وقد قرر لويس الرابع عشر أن يبني قصراً آخر في فرساي .ومنذ سنة ١٦٢٤ كان لويس الثالث عشر قد شيّد في فرساي استراحة متواضعة للصيد .وقرر لويس الرابع عشر أن يوسع استراحة الصيد ويجعل منها قصراً ملكياً ، وابتداءً من ١٦٦٢ . بدأ العمل في تشييد قصر فرساي واستمر حتى عام ١٦٨٦تقريباً وسرعان ما أصبح هذا القصر افخر مباني العالم .ويعد بحق آية في الفخامة إذ يقوم على الأسلوب الفرنسي الخالص في فن العمارة.

ويشتهر قصر فرساي بقاعة المرايا الشهيرة وتمتد هذه القاعة الكبيرة ٣٢٠ قدماً على طول واجهة الحديقة حيث وضع النقاشون كل مهاراتهم وعكسوا كل البهاء في تلك السبع عشرة مرآه التي تواجه النوافذ المطلة على الحديقة .

وقد عاش لويس الرابع عشر ، على نحو متقطع ، في فرساي منذ ١٦٧١ . وفي سنة ١٦٧٩ بنى لويس قصراً آخر في مارلي كان بمثابة ملاذ يلجأ إليه من زحام فرساي ؛ وبعد سنة ١٦٨٢ غدا قصر فرساي مقره الدائم .

وما من شك من أن في بعض هذا البهاء غرض سياسي يتمثل في إدخال الرهبة في قلوب السفراء الذين توقع منهم لويس أن يحكموا من خلال هذا البذخ والثراء والإسراف على موارد الدولة وقوتها ، ومع ذلك بدت هذه المباني الضخمة رمزا على الاستبداد وتحدياً للجماهير الفرنسية في نهاية عهده .(١)

وعلى أية حال فإن لويس الرابع عشر يستحق لقب العظيم ، فشخصية لويس عظيمة كملك تتوافر فيه كل الصفات اللازمة للملك العظيم فلم يفقد في يوم من الايام احترام أوروبا ولا حب شعبه وترك عهده طابعة في كل أوروبا وأصبح لبلاده اثر يزيد على الأثر الذي تركته جنوده فالعادات الفرنسية والملابس الفرنسية واللغة الفرنسية والفن والأدب الفرنسي أصبحت المثل الذي يحتذى به في كل أوروبا.(٢)

---

(١)ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث ١٤٥٣_١٨٤٨، ط١ ، مصدر سابق ص ٢١٣.

(٢)عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث ، ط١،دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ١٩٩٢، ص٢٣٦.

المبحث الثاني

تسلم لويس الرابع عشر السلطة الفعلية في فرنسا(١٦٦١_١٧١٥)

لقد وضع نظام الحكم المطلق في فرنسا على أسس ثابتة في النصف الأول من القرن السابع عشر ، في عهد لويس الثالث عشر (١٦١٠_١٦٤٢) بواسطة وزيره الكاردينال ريشيليو ،

وذلك إمتداداً لمجهودات هنري الرابع ، وكانت هناك صعوبات كثيرة تواجه هذه العملية ، وبخاصه في السنوات الأولى، منها ضعف الحكام، والموقف العدائي لكل من النبلاء و البروستانت ، ولقد تمكن ريشيليو من أن يستخدم نشاطه وقوته ، إبتداء من الوقت الذي وصل فيه الى الوزارة سنة ١٦٢٤ ، لكي يفرض احترام السلطة المطلقة للملك على الجميع .

ولقد إستمرت مع ذلك الاضطرابات بعد عهد الملك لويس الثالث عشر ، وفي اوائل عهد لويس الرابع عشر ، أثناء وزارة الكاردينال مازاران (١٦٤٢_١٦٦١) نتيجة لبؤس الأهالي ، وتشدد سياسة برلمان باريس ، وطموح دوق كونديه ، الأمر الذي جعل هذه الصراعات تمتد حتى سنة ١٦٥٢، حيث نتج عنها تحطيم آخر العقبات التي واجهت الحكم المطلق لملوك فرنسا. وهكذا وجدت الملكية أيديها مطلقة لتنظيم البلاد داخليا وإنشاء قوة عسكرية لها قيمتها ، تسمح لها بفرض سياستها وإثبات تفوقها على غيرها من الدول . (١)

كان لويس الثالث عشر قد أوصى بأن تكون زوجته آن النمساوية وصية على ابنهما لويس الرابع عشر ، وأشرك معها مجلساً للوصاية . ولكن البرلمان قرر أن تكون الملكة الوالدة وصية بكامل السلطات ،وكانت الملكة آن عدوة الكاردينال ريشيليو ، ومع ذلك فإنها عينت الكاردينال مازاران رئيساً لمجلس الدولة أو الحكومة.(٢)

---

(١)جلال يحيى ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، ج١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، ١٩٨٣، ص ٤٩.

(٢)جفري بيرون ،تأريخ أوروبا الحديث ،ط١ ، ترجمة وتحقيق علي المرزوقي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الاردن ،عمان،٢٠٠٩ ، ص٢٨٣.

وهكذا كان على مازاران أن يتولى الأوضاع في فرنسا بعد موت كل من ريشيليو ولويس الثالث عشر. وكانت الأوضاع صعبة بالنسبة له فكان الكبراء يحاولون استعادة سلطتهم بعد أن أحكم قبضته عليهم وكان الفلاحون، وهم الأغلبية العظمى من الشعب يعيشون في ظروف قاسية ، وكانت المالية في وضع سيء .

حاول مازاران إصلاح المالية كما حاول فرض ضرائب جديدة. ولكن الخراب ساد فرنسا في عصره وجاء صلح وستفاليا لكي يزيد عدد العاطلين وينشر المجاعات في كل مكان واعطت هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة نتائجها السياسية ودفعت فرنسا إلى أن تخضع للنظام الملكي المطلق والمستبد فيها وحين بلغ لويس الرابع عشر سن الرشد وتولى سلطته الملكية كان لا ينسى الإضطراب والفوضى اللذان سادا في صغره واجبراه على الهرب من عاصمته ولذلك فإنه قرر ألا يترك مجال للفوضى في بلاده وطوال حكمه مهما كلفه الأمر فكان ملكاً مطلقاً بكل معنى الكلمة أما الفرنسيين فإنهم كانوا في حاجة إلى الراحة ولم يكن لهم من امل سوى طاعة الملك والخضوع له .(١)

لقد اتفق اغلب المؤرخين على أن تاريخ وفاة مازاران سنة ١٦٦١م .وهو التاريخ الفعلي لتولي لويس الرابع عشر زمام الحكم .(٢) فبعد موت مازاران قرر أن ينفرد بالسلطة ولا يترك المجال لوزير أو غيره من رجال الدولة لتوجيه شؤون الدولة مستقلاً عن الملك وعندما مات مازاران أقبل رؤساء الإدارات على لويس الرابع عشر يسألون : الى من يأتون ليتلقوا التعليمات فأجاب ببساطة :« أليّ» وقد عبر عن سياسته هذه بقوله « الدولة أنا » .وكانت اوتوقراطية لويس الرابع عشر هي الحقيقة المسيطرة على تاريخ اوروبا منذ أن انفرد بالسلطة في سنة ١٦٦١ ، حتى موته في ١ سبتمبر سنة ١٧١٥ .واصبح واحداً من أعظم ملوك فرنسا وهو الذي رفع فرنسا إلى المرتبة الاولى بين الأمم وكان لويس يحكم عن طريق وزراء يعينهم ويفصلهم كما يشاء ، ولم يجرؤ أحد على مساءلة لويس أو إنتقاد أفعاله ومن هنا كانت
عبارته الشهيرة : الدولة : إني أنا الدولة .(٣)

---

(١)جلال يحيى ، التأريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ،ج١ المصدر السابق ص٥٢، ٥٥ .
(٢)ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث ١٤٥٣_١٨٤٨، ط١ ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي، ١٩٩٦،ص١٩٥.
(٣)خرنق مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (١٦٠٥_١٧٠٥) سياسياً وتجارياً ،رسالة ماجستير غير منشورة ،المركز الجامعي بغرداية ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية ،٢٠١٢ص

وقد استفاد لويس الرابع عشر من دروس من سبقه وخاصة الوزيران ريشيليو ومازاران. وكان لويس أول ملك فرنسي جعل من الملكية مهنة جديدة وفاخرة بحيث لا يمكن لأحد أن يشاركه فيها .(١)

واقترنت نظرة لويس للملكية بإحساس صارم بالمسؤولية. وكان يعلم بأنه من الضروري أن يكون جديراً بولاء الفرنسيين وكان يعمل ما لا يقل عن عشر ساعات كل يوم لتحقيق أكبر مجد لفرنسا .

ويبدو إن لويس قد آمن حقيقة بأنه مبعوث العناية الإلهية لحكم فرنسا وحكمها بسلطان مطلق وكان في استطاعته أن يستشهد بآيات من الكتاب المقدس لدعم هذا الهدف .وظهرت فكرة أن الملوك لكي يمارسوا وظائفهم المقدسة على الوجه الصحيح لابد لهم من سلطة لا حدود لها .وقد أفصح لويس عن مذهبه في الحكم المطلق حينما أراد برلمان باريس سنة ١٦٦٥ أن يناقش بعض مراسيمه ففض المجلس وحوّل وظيفة البرلمان الى مجلس ملكي خاضع للملك بشكل دائم (٢).

وحينما اصبح لويس ملكاً بدأت مرحلة جديدة في تاريخ فرنسا الحديث ظهرت آثارها واضحه تماماً في التأريخ الأوروبي السياسي طوال نصف قرن من الزمن . وقد عُرفت هذه الفترة من تأريخ فرنسا بعصر لويس الرابع عشر : عصر الملكية المطلقة والتفوق الفرنسي.(٣)

---

(١)هيربرت فيشر، اصول التاريخ الاوروبي الحديث من النهضة الاوروبيه الى الثورة الفرنسية،ترجمة زينب عصمت راشد واحمد عبد الرحيم مصطفى ،ط٣، ١٩٩٨،دار المعارف بمصر، القاهرة، ٢٩٧.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة ،عصر لويس الرابع عشر ، مصدر سابق ، ص ٢٦.

(٣) ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث، مصدر سابق ،ص١٩٦.

المبحث الثالث

السياسية الداخلية في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر

ينقسم عهد لويس الرابع عشر الى ثلاثة أدوار هي :

أدارة مازاران من سنة١٦٤٣_١٦٦١ ودور عظمة المملكة من سنة ١٦٦١_١٦٨٤ .وعصر الانحلال في فرنسا من سنة ١٦٨٤_١٧١٥ .

عهد لويس الرابع عشر في ظل إدارة مازاران(١٦٤٣_١٦٦١)

كان لويس الرابع عشر صغيراً وقاصراً فتولت الوصاية عليه أمه آن النمساوية.وقد عينت آن مازاران وزيراً لها ليخلف ريشيليو الذي كان يحب مازاران حتى أن ريشيليو أوصى أن يتسلم مازاران الوزارة من بعده . ومازاران هذا ايطالي وصل إلى منصب كاردينال سنة ١٦٤١.

لقد انتهج مازاران نفس سياسية ريشيليو الداخلية والخارجية وكان يرى أن تكون الملكية الفرنسية ملكية مطلقة ، وذات اعتبار كبير في أوروبا.الا أن شخص مازاران يختلف عن شخص ريشيليو الذي كان يفضل المصلحة العامة ،في حين أن مازاران كان دائما يفضل مصلحته الخاصة ومع هذا فقد وصلت البلاد في فترة حكم وزارته الي مرحلة عظيمة في السياسة الخارجية.

لقد دخلت فرنسا حرب الثلاثين عاماً في عهد ريشيليو واستمرت في تدخلها هذا زمن مازاران ،وبعد نهاية الحرب استطاعت فرنسا بموجب صلح وستفاليا أن تحصل على الالزاس وثبت حقوقها في أسقفيات تول ومتز ومزران.

واجهت مازاران مشكلات داخلية كقيام النبلاء بحركات ضد حكمه أدت إلى استرداد ما فقدوه من امتيازات زمن ريشيليو. إلا أن الملكة آن ومازاران تمكنا من انزال العقوبات الشديدة بالنبلاء .

كما واجه مازاران ثورات عرفت بأسم «ثورة الفروند » فقد ثار الشعب الفرنسي الذي أرهق من شدة الضرائب والإجراءات المالية الصارمة لان فرنسا كانت قد صرفت أموالها في الحروب الخارجية وفي الامور التي من شأنها تقوية الملكية الفرنسية في الداخل .فأحدثت ضرائب جديدة.وبيعت الوضائف والالقاب وكثرت استدانة الحكومة من الأغنياء.فكانت هذه الأعمال قد زادت في بؤس الشعب الفرنسي ، وأدت بالتالي إلى « ثورة الفروند ».(١)

---

(١)عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ، مصدر سابق ص١٧٩، ١٨٠.

كانت بداية الثورة سنة ١٦٤٤ وعندما رفض البرلمان الفرنسي اعتماد الأوامر المالية الخاصة بالضرائب الجديدة. وقدم هذا البرلمان عرائض إلى البلاط الملكي يطلب منه الموافقة على جعل البرلمان مشرفاً على الضرائب ، وطالبه بإلغاء وظائف المأمورين ،

وطالبه بعدم ادخال الأفراد في السجن من غير محاكمة . وكانت غاية البرلمان هي الحد من سلطة الملك المطلقة في البلاد .

لقد تصدى مازاران للبرلمان فأمر بإعتقال أفرادة المعادين للحكومة ، إلا أنه تحت ضغط ثورة الشعب في باريس أمر بإخراج المعتقلين وأجاب إلى مطالب البرلمان وكانت غاية البرلمان الفرنسي أن يلعب دورا كبيراً في السياسة الفرنسية ولقد حل مازاران المشكلة البرلمانية بأن عقد

صلحاً مع البرلمان سنة ١٦٤٩ كان بمقتضاه قد حصل البرلمان على حق الاشراف على بعض الأمور المالية مقابل تخليه عن التدخل في الشؤون السياسية .

ثم حدث خلاف اخر بين مازاران والنبلاء وقادة الجيش . حتى أن القائد الفرنسي تورين قرر التعاون مع إسبانيا ضد فرنسا إلا أنه فشل في مخططه هذا وعاد فيما بعد إلى حظيرة الملكية الفرنسية . وبعد انتهاء فرنسا من حربها مع إسبانيا سنة ١٦٥٢ تمكن مازاران من القضاء على الخلافات الداخلية وبهذا انتهت المرحلة الثانية من مراحل ثورات الفروند ، التي انتهت بفوز الملكية التي استطاعت أن تبعد البرلمان عن التدخل في السياسة. واعادت المأمورين والنبلاء الثائرين الى طاعتها .(١)

---

(١)أبو علية عبد الفتاح حسن وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ،مصدر سابق، ص١٨١،١٨٠.

أوج عظمة الملكية الفرنسية في عهد لويس الرابع عشر(١٦٦١_١٦٨٤)

كان لويس الرابع عشر يؤمن إيماناً قوياً بنظرية حق الملوك المقدس.هذه النظرية التي عمت بلاد أوروبا لفترة طويلة. وكان لويس يقول بأن الملك يمثل الإله في الارض وله سلطة مقدسة مستمدة من الله . ولا يجوز تجزيء هذه السلطة أو التنازل عنها للغير ، لأنها حق للملك وأن الله يسأله عنها .والوزارة هي أداة يختارها الملك لتنفذ أوامره وليس للشعب أي حق في أن يشترك معه في تأليف الحكومة .ويقول كذلك على الملك أن يحكم بالعدل والحق . وبهذه النظرية يكون لويس الرابع عشر قد حصل على سلطة مطلقة في فرنسا .

لقد قام لويس الرابع عشر بعدة إصلاحات داخلية مثل :

تأليف المجالس والهيئات المساعدة له من أجل المشورة وتنفيذ ما يأمر به بخصوص الحكم والإدارة والحرب والبحرية والقضاء ومسائل البروتستانت . وبهذا يكون لويس الرابع عشر قد ركز كل السلطات بيده . وقد أعطى المأمورين المؤيدين لحكمه في الأقاليم سلطات واسعة . وكان هو الذي يختارهم من الطبقة الوسطى التي يعتمد أفرادها على الوضائف والخدمة .

ولقد اختار الملك رجالاً أكفاء ليعاونوه في الحكم مثل : كولبير رجل المالية القدير و وزير الخارجية في حكومة الملك .فقد اصلح هذا الوزير الشؤون المالية مما أدى إلى ازدهار الأوضاع الاقتصادية وبالتالي إلى إصلاح الأوضاع الداخلية .

فعمل على إنعاش الصناعة الأهلية .ورفع الضرائب الجمركية على البضائع الأجنبية .واهتم بإيجاد اسواق للمصنوعات الوطنية في جزر الهند الشرقية وجزر الهند الغربية وفي بلاد القارة الأفريقية وفي بلاد أوروبا الشمالية .وأسس شركة الهند الشرقية أبتداءً من سنة ١٦٦٤ م. واهتم بوسائل النقل . وانشأ القنوات واهتم بالبحرية والموانئ. و ركز اهتمامه على تقدم العلوم والفنون في فرنسا ..

إلا إن نزاعاً حدث بين كولبير ووزير الحربية لافوا.و انحاز الملك في النهاية إلى وزير الحربية مما أدى إلى فقدان كولبير لنفوذه القوي قبل عدة سنوات من وفاته في سنة ١٦٨٣.

وقبل وفاة هذا المصلح بسنوات بدأت فرنسا تسير نحو الضعف والانحلال بسبب حروبها الطويلة التي انهكت الشعب وأفرغت الميزانية وعطلت موارد البلاد .وبسبب أخطاء الملك في سياسته الداخلية من حيث التنظيم الإداري الداخلي .(١)

---

(١)أبو علية عبد الفتاح حسن وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ،مصدر سابق ص١٨٢.

دور الضعف والانحلال(١٦٨٤_١٧١٥)

لقد سارت سياسة لويس الرابع عشر سيراً أدى بالبلاد إلى الضعف والهلاك فقد اعتمد على وزير حربيته لافوا الذي دفع بالبلاد إلى مجموعة من الحروب الخارجية أنهكت البلاد وافرغت ميزانيتها كما أن الملك كان قد وقع تحت تأثير صديقته المتدينة (مدام دو مانتينون) التي تزوجها الملك بعد وفاة زوجته ماريا تيريزا ولقد كانت منتون كاثوليكية متعصبة وعن طريقها وعن طريقها زاد نفوذ رجال الدين الكاثوليك في الدولة ومما زين الطين بلةً أن الملك كان يسير على سياسة يريد

بها بسط سيطرة الملكية سيطرة كاملة ومطلقة على جميع الشؤون المدنيه والدينية في فرنسا فقد اجتماعاً سنة ١٦٨٢ أقر فيه سيادة الملك العليا على الكنيسة والدولة معاً وهذا معناه إقصاء سيطرة البابوية كقوة أجنبية في فرنسا وهذا أوجد إنقساماً في فرنسا بين الكاثوليك القائلين ببقاء سلطة البابوية وعلى رأس هؤلاء الكاثوليك المتعصبين وجماعة الجزويت والى جماعة كاثوليكية معتدلة قالت بالقدرة الكالفنية وقالت بفائدة المجالس الدينية من أجل الحد من سيادة البابوية .وهؤلاء هم جماعة الكاثوليك المطهرين الذين كانوا موضع عداء الجزويت والبابوية والملكية معا هذا إلى جانب أن الهيجونت قوى معادية ومضطهدة من قبل الملك والجزويت والبابوية وفي بلد كهذا البلد لابد وأن تحدث فيه عوامل الضعف والانحلال لأنه مجتمعه مجتمع مفكك ومقسم وزاد الأمر سوء إلغاء لويس الرابع عشر لمرسوم نانت في ٢٢ أكتوبر سنة ١٦٨٥ وبهذا فقد الهيجونت جميع الامتيازات المدنيه والدينية التي تمتعوا بها و طرد رجال الدين البروتستانت من فرنسا وعطلت جميع مدارسهم وهدمت معابدهم وكان لإلغاء مرسوم نانت نتائج سياسية واقتصادية وخيمة على البلاد وكان تصرفا إرتجاليا من الملك فقد هاجر مئتان وخمسون ، ألفا من البروتستانت الى إنجلترا وهولندا فكانوا خسارة لفرنسا ومكسبا للبلاد التي هاجروا إليها لكثرة ما نقلوا إليها من الفنون والعلوم والمعارف والصناعات التي كانت معظمها بيد الهيجونت كما ضعف الجيش والبحرية عندما هجرهما البروتستانت كما أن الاضطهاد الديني للهيجونت أدى إلى إثارة الدول البروتستانتية وشعوبها ضد لويس الرابع عشر هذا وإن الحروب الطويلة التي خاضتها فرنسا مع الدول الأجنبية قد اربكت ميزانية الدولة ومما أدى إلى فرض ضرائب جديدة على السكان بالقوة والى اصدار أوراق نقدية بكميات كبيرة والى عقد قروض إجبارية مع الأغنياء وقد افقرت هذه الإجراءات السكان واكسدت وانهكت الدولة والبلاد .(١)

---

(١)عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ،مصدر سابق ص١٧٩ _١٨٤.

السياسة الدينية

الاضطهاد الديني والوحدة الدينية

قرر لويس الرابع عشر انتزاع السلطة الدينية من البابا في فرنسا بحيث يصبح صاحب السلطة المطلقة في شؤون فرنسا الدينية والمدنية ، ولهذا السبب دعا إلى عقد مجمع ديني سنة ١٦٨٢. وقد قرر هذا المجمع تخويل ملك فرنسا الحق في الإستقلال عن سلطة البابا ، كما نص على أن قرارات البابا لا تسري على الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ، ومن ناحية أخرى ، آمن لويس الرابع

عشر بأن وحدة فرنسا السياسية لا يمكن أن تتحقق بدون قيام الوحدة الدينية .ولذلك كان يأمل في عودة البروتستانت إلى الكنيسة الكاثوليكية إذ استخدم ضدهم العنف و ابعدهم عن مناصب الدولة العليا .وكان مازاران قد واصل وطور سياسة ريشيليو بشأن حماية حرية البروتستانت الدينية ما داموا محافظين سياسياً على ولائهم للدولة الفرنسية .و أدرك كولبير أهمية البروتستانت في التجارة والصناعة في فرنسا وفي سنة ١٦٥٢ أكد لويس الرابع عشر _ نفسه على مرسوم _ نانت الذي أصدره هنري الرابع في سنة ١٥٩٨؛ كما أعرب سنة ١٦٦٦ عن تقديره لولاء البروتستانت أبان حرب الفروند ، ومع ذلك كان يحزنه أن لا تتحقق وحدة فرنسا الدينية كما تحققت وحدتها السياسية ولم تلبث هذه السياسة أن تغيرت بعد حين .

كان البروتستانت يتمتعون بحقوق خاصه بموجب مرسوم نانت ولكن مأساة البروتستانت قد بدأت في فرنسا في سنة ١٦٦١ حينما قرر الملك حرمانهم من مناصب الحكومة ومصادرة صحفهم ومدارسهم وتحويلها إلى مدارس كاثوليكية. وكان لويس – منذ أن بدأ حكمه الفعلي – قد أصدر هو أو وزرائه بموافقته – مجموعة من المراسيم هدفت إلى إلغاء مرسوم التسامح إلغاءً تاماً. وفي هذا الصدد نلاحظ أن الكنيسة الفرنسية نفسها لم تكن قد وافقت على التسامح الديني الذي ضمنه مرسوم نانت البته . وأذعن الملك تدريجياً لضغوط الكاثوليك مخالفاً بذلك فطرته التي تميل إلى الخير فأن لويس الرابع عشر كان دائماً في حاجة للمال للإنفاق على البلاط والحروب ، وقد وجد « رجال الدين يقدمون له منح كبيرة شريطة أن يقبل آرائهم».(١)

---

(١) ديورانت، قصة الحضارة، عصر لويس الرابع عشر، مصدر سابق ج٣١ ص ١١٢.

وهذا سبب من الأسباب التي دفعته للاضطهاد الديني ضد البروتستانت. وهكذا أمام إلحاح الدين الكاثوليك تتابعت حملات الاضطهاد ضد البروتستانت والمذاهب الدينية الأخرى في فرنسا . ففي سنة ١٦٦٤ أصبحت الترقية إلى فئة معلمي الحرف في الطوائف الصناعية عسيرة إلا على الكاثوليك.وفي سنة ١٦٦٦حُظر على البروتستانت إنشاء كليات جديدة ، أو الاحتفاظ بمعاهد لتعليم أبناء الاشراف ؛ كما أصدر لويس عدة مراسيم ضد حرية العبادة ، من بينها مثلا ، انه في سنة ١٦٧٩ أصدر أمرا بنفي جميع المرتدين عن الكاثوليكية ومصادرة املاكهم. وتتابعت حملات الاضطهاد ضد البروتستانت في فرنسا ، فأغلقت وهدمت اغلب كنائسهم ، وهاجرت أعداد كبيرة

منهم عبر الحدود إلى هولندا وانجلترا وألمانيا ، والعالم الجديد .وفي ١٧ اكتوبر ١٦٨٥ الغى لويس الرابع عشر مرسوم نانت باعتباره مرسوماً لا ضرورة له الآن في فرنسا التي تدين كلها تقريباً بالكاثوليكية ، وفُرضت مختلف الوسائل القاسية لتجعل مركز البروتستانت في البلاد أمرا لا يطاق ، بحيث يضطرون إلى اعتناق العقيدة الكاثوليكية أو الهجرة . وقد نجحت هذه السياسة الظالمة إلى حد بعيد فبالرغم من أن بعض الأقاليم قاومت سياسة الاضطهاد الديني بشدة فإن فرنسا كادت أن تصبح كاثوليكية تماماً.وهكذا كانت استبدادية لويس الرابع عشر الدينية .فقد أراد أن يمارس حكماً مطلقاً حتى على العبادة ، وآمن بالشعار القائل « ملك واحد ، وقانون واحد وعقيدة واحدة » وتلاشى التسامح الذي آمن به ريشيليو ، الذي كان يُعين لمناصب الدولة الرجال القادرين الأكفاء ، أياً كانت عقيدتهم الدينية .ولم تدع الروح الدينية التي سيطرت على فرنسا في عهد لويس الرابع عشر مجالاً للحرية الشخصية ، فالرقابة الصارمة قضت على حرية الصحافة مثلما قضت على التسامح الديني .(١)

---

(١)محمد مخزوم ،مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي ، ط ١ ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،١٩٨٣ ،ص ١٩٧ _٢٠٠ .

سياسة لويس الرابع عشر الاقتصادية:

اعتمد لويس الرابع عشـــر على خليفة مازاران كولبير، الذي اشـــتهر بتضـــلعه في أمور التجارة والاقتصـــاد حيث ســـعى بكل جهده الى تنمية ثروة فرنســـا ، وجعلها من أغنى الدول، وذلك بمنع خروج الأموال منها وجلب الأموال الأجنبية إليها. (١) أقال عدداً من الموضـــفين لم يكن هناك حاجة لهم ،وكانوا يكلفون ميزانية الدولة كثيراً ، كما أنه اهتم بالتجارة والصـــناعة ؛ ففي مجال التجارة عمل كولبير على تكوين إمبراطورية بحرية فرنسية على غرار ما قامت به هولندا وأسبانيا والبرتغال ،فقد رغب في إقامة مستعمرات على السواحل المؤدية إلى الهند والشرق الأقصى كما

إنه رغب في امتلاك مصـر وضـمها إلى فرنسـا لضـمان الطرق التجارية إلى الهند وربط البحر الاحمر بالمتوسط .

أسس كولبير شركة الهند الشرقية الفرنسية برؤوس أموال الملكية والأمراء ؛ إذا امتنع التجار الفرنسيون عن المشاركة في هذا العمل الوطني الضخم مما كان له الأثر في فشل هذا المشروع الذي إقتصر على استخدام التجار للسفن والمراكز الخاصة بالشركة فقط .

وفيما يتعلق بمجال الصـناعة فقد توسـع كولبير في إنشـاء المصـانع ولتنشـيط الصـناعة الفرنسية قام بإستجلاب الأخصائيين في الصناعات المختلفة من كل دولة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتشـجيع الصـناعة المحلية وحمايتها من المنافسـة الخارجية وفرض الضـرائب على المصنوعات المستوردة وزاد من هذه الضرائب سنة ١٦٦٧.(٢)

---

(١)خرنق مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (١٦٠٥_١٧٠٥) سياسياً وتجارياً ، مصدر سابق ص ٤٢.

(٢)عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوربي الحديث ، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٩٩، ص١٧٣.

بناء الاسطول والجيش في عهد لويس الرابع عشر:

عهد لويس الرابع عشـر ببناء الجيش الفرنسـي الحديث إلى لوتلييه وأبنه ، وقد أدخل لوتلييه الأساليب الحديثة في إنشاء الجيش الفرنسي الحديث ، فقد قضـى على الفكرة القديمة السائدة من حيث ولاء الجنود للنبيل القائد فقط وجعل الترقيات في الجيش تعتمد على الكفاءة والمهارة فقط دون النظر لعائلاتهم. هذا وجعل تدريب الجيش تحت إشراف الحكومة فقط .

أما الأســـطول فقد تم بناؤه على أيدي كولبير وعاونه ابنه ، وقد جرى انشـــاء الاســـطول الفرنسي نتيجة للسياسية التي اتبعها كولبير في العناية بالتجارة الخارجية لفرنسا ؛ ولهذا فقد ازداد عدد السـفن الفرنسـية من عشـرين سـفينة سـنة ١٦٦١ إلى مائة وأربعين سـفينة ، ونظراً لإيمان كولبير بالارتباط بين البحرية والتجارة والعسـكرية فقد أنشـأ إدارة خاصـة لهذا يمكن أن تكمل كل منها الأخرى عند الغزو والاستيلاء الخارجي .

وإلى جانب الاسـطول الذي انشـأه كولبير كان يوجد اسـطولان صـغيران أحدهما لحماية ميناء مرسيليا وكان مقره في برست وطولون والآخر يستخدم للدفاع عن المياه الغربية والشمالية الغربية لفرنسا .(١)

---

(١)عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوربي الحديث ، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، مصدر سابق ، ص١٧٤.

نتائج البحث:

(١)كانت فرنسا بعد سنة ١٦٦٠ امة متماسكة جغرافياً، متحدة تحت حكومة مركزية قوية واحدة .وإضافة إلى وحدة الحكومة والسياسة ، هناك وحدة العرق والأرض .

(٢)أثناء حكم لويس الرابع عشـــر ، كانت فرنســـا القوة الرائدة في أوروبا وكان العالم مبهوراً بشهرة لويس وقصره (قصر فرساي) .

(٣)أن حكم لويس الرابع عشـــر الإســـتبدادي المطلق والتعصـــب الذي دفع به إلى الاضطهاد والتعذيب ، والتلهف على السلطة والميل للحروب كلها سمات ظهرت في شخصيته بوصفه ابن عصره وكنيسته .

(٤) كان تقديره وتشـــجيعه للأدب والفن وقدرته على احتمال أعباء حكومة مركزية بعيدة المدى ، صفات جعلت منه ملكاً بكل معاني الكلمة .

(٥) صحيح أنه قد شن حروباً مدمرة وأسرف في البناء والترف ، وأثقل كاهل الشعب الفرنســـي بالضـــرائب الى حد العوز ، إلا أنه أعطى لفرنســـا حكومة منظمة ، وحدة وطنية ، وثقافة عظيمة بلغت بها فرنســـا مرتبة الزعامة على أوروبا الغربية ومن ثم أصبح لويس علماً على أسمى زاهر لبلاده ورمزاً له .

(٦) ولكن بالرغم من الإنجازات العديدة التي حققها لويس الرابع عشـــر ، الا أن فترة حكمه الطويلة لم تكن ناجحة تماماً وهناك سـببان لفسـاد الحكم في عهده هما : حبه للشهرة والمجد ، وكرهه للبروتستانت ،فالحروب والضرائب الباهضة حطمت اقتصاد البلاد تقريباً ، وتركت فرنسا ثائرة ومنهكة ومهدت الطريق أمام الثورة سنة ١٧٨٩.

(٧) وهكذا بالرغم من أن الملكية الفرنسية ظهرت بمظهر القوة فإنها من ناحية أخرى فقدت هيبتها والعديد من عناصـــرها في أواخر القرن الثامن عشـــر بســـبب مســـاوئ الملوك التي تمثلت بكثرة الحروب التي استنزفت الأموال والأرواح والضرائب والمبالغة في الاسراف وسوء الإدارة وكثرة الاضطهاد الديني والسياسي ولم يكن باستطاعة هذا الحكم المســـتبد أن يســـتمر الا في حالة واحدة وهي اني يتم القضـــاء على الظلم

الاجتماعي ، وهذا لم يحدث . وعليه ، يمكن القول إن ملكية لويس الرابع عشـــر قد تركت فرنسا في حالة من البؤس وكأن انتصاراتها قد استحالت إلى هزائم .

(٨) عموماً في أول ســبتمبر عام ض١٧١٥ مات لويس الرابع عشــر تاركاً العرش لحفيده الصغير لويس الخامس عشر وبذلك انتهى عهد من اكبر عهود فرنسا الملكية واطولها ؛ عهد الملكية المطلقة ، والحكم الفردي والاســتبداد وقصــر فرســاي وقاعة المرايا الفخمة والحروب .

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب :

(١) أبو علية عبد الفتاح حسن وإسماعيل أحمد ياغي ، تأريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، ط٣ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٣.

(٢)جفري بيرون ،تأريخ أوروبا الحديث ،ط١ ، ترجمة وتحقيق علي المرزوقي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الاردن ،عمان،٢٠٠٩ .

(٣)جلال يحيى ، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى ، ج١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، ١٩٨٣.

(٤)زينب عصمت راشد ، تاريخ اوروبا الحديث ، من مطلع القرن السادس الى نهاية القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٨٦.

(٥)عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، ط١، دار الفكر العربي،مصر ،١٩٩٧.

(٦)عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوربي الحديث ، من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٩٩.
(٧)عبد المجيد نعنعي ، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣_١٨٤٨، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٨٣.

(٨)عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث ، ط١،دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ١٩٩٢.
(٩)محمد مخزوم ،مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي ، ط ١ ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،١٩٨٣.

(١٠)ميلاد المقرحي، تأريخ اوروبا الحديث ١٤٥٣_١٨٤٨، ط١ ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي، ١٩٩٦.

(١١)هيربرت فيشر، اصول التاريخ الاوروبي الحديث من النهضة الاوروبيه الى الثورة الفرنسية،ترجمة زينب عصمت راشد واحمد عبد الرحيم مصطفى ،ط٣،دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٩٨.

(١٢)ول ديورانت، قصة الحضارة ،عصر لويس الرابع عشر ، ج٣١ ،ترجمة فؤاد أندراوس وعلي ادهم ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨ال

الرسائل الجامعية :

(١)خرنق مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (١٦٠٥_١٧٠٥) سياسياً وتجارياً ،رسالة ماجستير غير منشورة ،المركز الجامعي بغرداية ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية ،٢٠١٢.

الموسوعات:

(١) موسوعة تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ،مفيد الزيدي، ج١، ط٣ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن ، عمان ، ٢٠٠٩.

(٢)موسوعة تأريخ القرن السابع عشر في أوربة، نور الدين حاطوم ،ط١، دار الفكر ،دمشق ، سوريا، ١٩٨٦.

لويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٤٣_١٧١٥)

نساء الملك لويس الرابع عشر

ماريا تيريزا (١٦٦٠_١٦٨٣)

مدام مانتينون (١٦٨٣_١٧١٥)